فقدوا نهائيا زمام المبادرة(٧)، واذا فرضت حركات التحرر في المستعمرات البرتغالية وجودها عالميا فاعترفت بها الامم المتحدة في دورتها الاخيرة كممثلة لشعوبها(٨)، فان جزءا كبيرا من الفضل يعود الى توفر القيادة الطليعية التي يشير لهـــا كابرال ، والتي يميزها أحد قادة اليسار الفرنسي عن « معظم القيادات التقليدية التبشيرية والعاطفية في العالم الثالث »(٩).

وقد استطاع كابرال ورفاقه أن يلمسوا بعمق خاصية الوضع في غينيا ، (وفي افريقيا السوداء بشكل أعم) المتميز بتخلف اقتصادي وثقافي وتناقضات قبلية ودينية وسيطرة شبه شاملة للاستعمار أو الاستعمار الجديد على معظم أقطار القارة. ولكن هذا الادراك لنقاط الضعف الداخلية منها والخارجية(١٠)، لم يدفع قادة الحركة الثورية لليأس بل لمزيد من الاصرار والتجذير لبناء حركتهم وأهدافها . فعلى صعيد البناء ، عمل كوادر الحزب لاستقطاب جماهير الريف بطرح مشاكلها الحقيقية وتفادي الاطروحات العامة والاهداف البعيدة « فالناس لا يقاتلون من أجل الافكار ، من أجل القضايا التي في رأس أحدنا . هم يقاتلون من أجل مكاسب ملموسة ، ليعيشوا حياة افضل وفي سلام ، وليروا حياتهم تتطور الى الاحسن »(١١) وهذه الرؤيا لا تعني بالنسبة لكابرال احتقار الجماهير واتخاذ موقف ابوي تجاهها ، وتجريدها من دورها الخلاق بالاستنابة عنها ، فكتابات كابرال كلها تؤكد على ضرورة رفع مستوى الوعي وتنمية حس النقد عندها . فمن تعليمات الحزب الملفتة للانتباه : « **مارسوا الديموقراطية الثوريـــة ... اقيموا اجتماعـــات متكررة ... لا تخفوا شيئا عن جماهير شعبنا . لا تكذبـــوا عليهم ... ولا تدعـــوا الانتصارات السهلة** »(١٢).

كما لا تساوي هذه الرؤيا بالنسبة له موقفا تجريبيا ذرائعيا، فكان اهتمامه بتوفر الخلفية النظرية دائما : « ان النقص الايديولوجي في حركات التحرر الوطني، ان لم نقل الغياب الكامل للايديولوجيا ــ الذي يعكس الجهل بالواقع التاريخي الذي تنادي هذه الحركات بتغييره ــ يشكل احدى نقاط الضعف الرئيسية في كفاحنا ضد الامبريالية ، ان لم يكن نقطة الضعف الكبرى »(١٣).

وعلى صعيد الاهداف ، وضع كابرال ورفاقه نصب أعينهم التحـــرير الكامل والحقيقي لشعبهم : « فاذا كنا نناضل من أجل طرد البرتغاليين فقط ، فلا داع للنضال . نحـــن نناضل لطرد البرتغاليين ، ولكن أيضا لئلا يستغل أحد شعبنا أبيض كان أو أسود »(١٤). وشرح كابرال بشكل مفصل وجهة نظره هذه في خطابه التاريخي في مؤتمر القارات الثلاث عام ١٩٦٦ : « هناك طريقان فقط أمام بلد ينال استقلاله : أما العودة تحت السيطرة الامبريالية (الاستعمار الجديد ، الرأسمالية ، راسمالية الدولة) أو السير في الدرب الاشتراكي . ويتأثر الخيار ــ الذي يقرر مدى مكافأة جهود الشعب وتضحياته في فترة النضال ــ بشكل قوي **بأسلوب النضال وبمستوى الوعي الثوري للقيادة** »(١٥).

ولسنا هنا في معرض تقييم مفصل لعمل كابرال والدور التاريخي الذي لعبـــه في حركة التحرر المعاصرة . فالامر يحتاج الى دراسة اوسع . الا ان الكلمات القليلة اعلاه من كابرال وعنه تسمح لنا بأن نقدر الخسارة التي مني بها ثوار افريقيا والعالم الثالث . ولكننا نرجو بأن يكون تقدير باسيل دافيدسون(١٦) حقيقيا حينما قال « ان الحزب قد تعدى المرحلة التنظيمية التي تؤثر فيها خسارة رجل ــ مهما كانت مؤسفة ، كما هو الحال مع كابرال ــ على فعاليته » ، وان يكون هذا العام الذي ستعلن فيه الجمعية الوطنية المنتخبة في الاراضي المحررة استقلال غينيا (بيساو) عام هزائم جديدة للاستعمار البرتغالي وكافة أشكال الاستغلال في القارة السوداء .